# ماهو المكتب الدائم

## * للأستاذ عبد الحق فاضل *

قبل التحدث عن المكتب دعوني أتحدث أولا عن علة وجوده ومبرر دوامه .

عندما انحلت العربية الفصحى في عصور الظلام فتوزعت الى دارجات متباينة أصبح يصعب التفاهم فيما بينها أحيانا ويتعذر أحيانا حتى كان العربي يسمع في غير دارجته لغة شبه اجنبية عنه كالسريانية والآشورية لا يكاد يفهم ، او لا يفهم منها شيئا قط . حتى الالفاظ المشتركة المستعملة بنفس المعنى يتباين نطقها أحيانا الى حد يتعذر معه التعرف عليها . وحتى الالفاظ المفهومة نطقا وفصاحة معنى لا يمكن فهم بعضها اصطلاحا لأن كلا من تلك الدارجات يستعمل لاداء المعني الواحد المشترك لفظا فصيحا غير مشترك ، تضرب مثلا على ذلك معنى الشيء المعطوب لا يصلح للاستعمال ، فهو في العراق خربان ، وفي سورية منزوع ، وفي مصر خسران ، وفي المغرب مخسر ( زنة مجسم ) . و ( الجيد ) في العراق بلغة بغداد زين ، وبلغة الموصل مليح ، وهو في سورية منيح ، وفي مصر كويس ، وفي المغرب مزيان . وكلها صحيح أيضا وفصيح ( عدا منيح ) وكلها بدون استثناء مليح . لكنها غير مفهومة بمعناها المقصود دون سابق تعلم .

هكذا أصبحت الدارجات اقليمية محلية ، يقوم دون كل منها جدار يحول دون التفاهم بينها وبين الاخريات . ولو قد تسنى لخصوم العربية ان يحققوا امنيتهم بجعل اللغات المحلية الدارجة لغات كتاب وأدب لأصبح لكل منها معجمها الخاص وطابعها المتميز ولانقطعت الصلة الفكرية بين الاقطار العربية . وان كان معارضو الفكرة من محبي العربية قد تكهنوا بأن كل قطر سيضطر عندها الى ترجمة مؤلفات القطر الآخر فاني أقول العكس لان الخطب ادهى من هذا ، فما كان هذا ليحصل الا نادرا لان المترجمين كانوا يتوجهون عندئذ الى ترجمة الكتب الغربية الراقية بدلا من ترجمة النتاج العربي الذي لا يسد رواجه نفقات ترجمته واعادة نشره ، ولا سيما لقلة الجيد المجزي فيه . ونقطة اخرى أذكرها لا أدري ان كان احد قد تطرق اليها هي أن جعل الكتاب محطيا على الغرار الذي فشل مخططه كان قمينا بأن يقضي على الثقافة العربية قضاءا يكاد يكون مبرما . ذلك بأن ضيق ابعاد المحلية كان سيحدد رواج الكتاب بل يخنقه فلا يبقى على المؤلف والناشر الا أن يتكبد الخسائر الجسامة التي لا تقبل أحد أن يتكبدها . واليوم بالرغم من انفتاح الاقطار العربية أمام الكتاب العربي قلما ربح مؤلف شيئا مجزيا من كتاب جاد راق .

هذه الجدران اللغوية خفت الفصحى الى النجدة فهدمتها حيث أصبح العربي يتفاهم مع العربي ، من اي قطرين كانا ، بلغة قريبة من الفصحى . مفرداتها فصيحة وقواعد تركيب جملها متقاربة ، ولا يكاد ينقصها سوى الاعراب . والى جانب هذا شاعت الفصحى التقليدية على صعيد الصحيفة والكتاب والاذاعة ، فعمت آلاؤها .

وعندما اخذت الاقطار العربية تفيق من غفوتها اخيرا واحدا بعد آخر ، وجد كل منها نفسه امام الجدار الاكبر الذي اقامه انطفاء شعلول الثقافة العربية في العصور المظلمة التي ساد فيها الحكم الاجنب والجهل الاسود معا فكانهما توامان . ذلك الجدار الاكبر هو تخلف العربية كل تلك العصور عن مماشاة ركب العلم بل عن قيادة ركب العلم كالذي كان منها . فاخذت كل دولة عربية تحاول بمفردها هدم ذلك الجدار بوضع المصطلحات العربية مقابل الاجنبية علمية وفنية وتقنية طفقت تتدفق علينا مع سيل الثقافة الغربية . وقد قطعت كل دولة في هذا المضمار اشواطا متفاوتة .

لكن هذه الفصحى الجديدة التي هدمت لنا جدران العزلة بين الدارجات اقامت لنا هي بنفسها جدرانا من نوع آخر بين الاقطار العربية تحول دون التفاهم احيانا وتشوشه احيانا كثيرة . ذلك بأن انفراد كل قطر عربي بوضع المصطلحات المستحدثة لنفسه جعل له مصطلحاته الخاصة التي تختلف قليلا او كثيرا عن مصطلحات كل قطر آخر . واصبح الكتاب المدرسي في العلوم او الفنون او الصناعات محليا جدا ، واقليميا انفصاليا ، والمثل التقليدي الذي يضربونه في هذا الباب هو ما سمته الدارجات « الرقاص » منذ عرفته في الساعات . وبعضهم كان يسميه البندول تعريبا لاسمه الاوربي Pendulum . فكان من بعض الاقطار العربية ان عربته باسم ( المياس ) واخرى ( المياد ) واخرى ( النواس ) .

وكلها صحيح ومليح وفصيح ـ كتلك الالفاظ التي تقدمت بنا ـ لكن من الذي يستطيع ان يعرف أن ما تقصده انت بالنواس هو ما اقصده انا بالمياس ؟

على ان تأقلم الكتاب المدرسي ليس به كبير باس في الواقع فلكل بلد عربي مناهجه الدراسية وكتبه المدرسية التي يندر ان يؤخذ بها في قطر سواه. لكن المشكلة تتجسد في الكتب الثقافية العامة والصحافة والاذاعة .

فان الترفيع مثلا في العراق يقال له الترقية في مصر .

والرخصة تسمى في قطر اجازة ، وفي آخر اذنا ، وفي آخر تصريحا ، وفي آخر ترخيصا .

والعلاوة هنا تسمى مخصصات هناك ، وبدلا هنالك .

والقطع الاحتياطية ، قطع غيار

ومقاول قوم عند قوم متعهد .. الى آخر ما هنا وهناك وهنالك .

« والكاتب » الذي يطلق في المشرق على اصغر الموظفين في الديوان الحكومي يطلق في المغرب على احد اكبر موظفي الدولة وقد يطلق على رئيس الحكومة احيانا . والكاتب العام للوزارة في المغرب على كل حال هو من يسمى في العراق وكيل الوزارة .

ومع الرقي الحضاري والتقني ترتقي مشاكلنا اللغوية حتى تبلغ ذروتها في التقنيات ولا سيما في عالم النفط الذي اصبح دمنا الاسود يجري في شرايين حياتنا الاقتصادية في عدد كبير من الاقطار العربية ـ التي ستزداد عددا فيما ينتظر من كثر التحريات المستمرة في معظمها عن منابع النفط . وقد تلقى مكتب تنسيق التعريب معجما او شبه معجم من جامعة الدول العربية التي تضطلع بجمع المعاجم من مختلف الاقطار العربية ـ وهو يضم مصطلحات ست دول عربية نفطية . ومن النادر ان يتفق مصطلح بين اثنين او ثلاثة منها ، ولم تتفق كلها على اي مصطلح واحد . فمن المحال طبعا ان يفهم احد المختصين في قطر منها ما يكتبه اليه مختص آخر من قطر سواه .

وقد صادف ان مر بين يدي معجم النفط هذا (الذي لا ادري لماذا طبعه المكتب باسم معجم «البترول» بالرغم من اعتراضي على هذه التسمية ، ولعلها من هفوات النسخ او الطبع ) (1) . واضرب من هذا المعجم

---

(1) النفط كلمة عربية فصيحة ، مائية نبعية المعنى. من اخواتها : نبط ، نبع ، نبغ ، نبق .. الخ . وقد وردت في البابلية بصيغة « نبطو » او « نفطو » على طريقة القوم في ضم اواخر الالفاظ .

النفطي مثلا واحدا لاهم مصطلح فيه – بعد اسم النفط الذي بترلوه ! – وهو اسم البحيرة من النفط المختبىء في جوف الارض . فقد سبق ان سمته الفرنسية Reservoir من معنى الماء الذي كانوا يحفظونه احتياطا ، فلذلك اطلقوه على الصهريج ايضا ، وعلى صناديق المعدن المملوءة بالماء تنقلها الدواب للجيش عند تنقله ولا سيما في الاماكن الوعرة التي لا تقدر عليها السيارات . وقد اطلقت هذه الكلمة الفرنسية على نفس المعنى النفطي في الانكليزية كذلك . فكان من المترجمين العرب الاولين ان سموه « الاحتياطي » .. او احتياطي النفط . لكن النفاطين (2) المحدثين لم يعجبهم هذا المصطلح لانهم شعروا فيما يظهر بما يسببه من اللبس عند استعماله بمعان اخرى في مختلف الشؤون غير النفطية فكان من بعضهم ان سمى تلك البحيرة السوداء الخفية « الصهريج » من ذلك المعنى الفرنسي . وآخرون سموها « المكمن » باعتبار النفط كامنا فيها ، وآخرون سموها « الكمين » . وهؤلاء واولاء وقعوا في التباس آخر ، فالصهريج ما زال يستعمل بمعناه المائي الشائع ، والكمين والمكمن كثيرا ما يستعملان في شؤون لا صلة لها بالنفط ، ولا سيما في هذه الايام : كمائن الفدائيين .

وهكذا صار لدينا اربعة مصطلحات على الاقل – حسبما يحضرنا الآن : الاحتياطي ، الصهريج ، الكمين ، المكمن . وتجدها كلها متفرقة في المجلات والنشرات النفطية التي تصدر في كل واحد من الاقطار العربية النفطية . وبديهي ان اهل الصهريج لا يفقهون ما يقصده اشقتهم بالاحتياطي ، وهؤلاء يتحيرون حين يجدون اشقتهم الآخرين يتحدثون عن الكمين في شؤون نفطية لا يعرفون لها صلة بالعمل الفدائي .

وكان مني ان اقترحت بدل كل هذه المصطلحات مصطلحا آخر لا ادري هل ساعد على حل المشكلة أم زادها اشكالا .. وهو « الخزين » .

ان صيغة الفعيل تحتل معنى الفاعل والمفعول . والنفط المقصود في تلك البحيرة لم يخزنه احد ولم يخزن هو نفسه ، فهو لا فاعل ولا مفعول . قل انه متجمع او مجموع .. مختزن – بفتح الزاي او كسرها، كما تشاء . لكني فضلت صيغة « الخزين » لخفتها على اللسان ودقتها في اداء المعنى . وجمعها « الأخزنة » على غرار : الشريط والاشرطة ، الرغيف والارغفة ، النصيب والانصبة ..

المقصود من كل هذا ان نعمة انصراف الاقطار العربية الى وضع المصطلحات بنفسها دون انتظار لما تقره المجامع العلمية واللغوية لها – اصبح نقمة عروبية – لانها تفرق بين العرب وتباعد شقة الكلمة والفكرة التي تتوجه الأماني والادعية الى جمعها وتوحيدها .

وكما نهدت الفصحى لهدم جدران الدارجات ، نهد مكتب تنسيق التعريب لهدم جدران المصطلحات الفصحى . لقد احست الدول العربية بخطورة هذا الامر الانشقاقي اللا وحدوي – المعرقل لانتشار الثقافة وتبادل المعرفة والمصلحة فتقرر في اجتماع عقده ممثلوها في الرباط : تأسيس **مكتب .. دائم .. لتنسيق التعريب .. بين الاقطار العربية** .

فهذه هي علة وجود المكتب ، ومبرر دوامه . وهذا هو عمله .. وحدوي عروبي .. اساسه علمي خالص ، وللسياسة ان تأخذ منه ما تحتاج اليه او تستطيعه .

لكن طموح المكتب وفورة نشاطه لم يستطع معهما جلوسا ولف ساق على ساق بانتظار ان تأتيه المعاجم جاهزة لينسقها . عكف هو من اول امره على تأليف المعاجم ابتداءا وابتداعا . ولقلة امكاناته المادية طبعها طبعا متواضعا بالمهرق ووزعها على المعنيين يتدارسونها ويناقشونها ، قبل ان يتلقى اي معجم او مشروع معجم من احدى الدول العربية او من جامعة الدول العربية .

---

(2) نقترح « النفاط » بمعنى المختص او المشتغل بالنفط ، على غرار الزيات والسمان .

ودفعه ـ بالاضافة الى طموحه ونشاطه ـ بعد نظره الى انشاء مجلته هذه التي أصبحت معلما من معالم الثقافة العربية بل منارا تفيء اليه السفن اللغوية العائمة فى محيط الانبعاث الفكري . انها هذا « **اللسان العربي** » الذي سمعنا عنه من كل من اطلع عليه من الثناء ما لا يسمح لنا بأن نزيد عليه .

أما بعد النظر فى اصدار المجلة فهو ان ادارة المكتب شعرت ان لمهمة مكتبها جانبا طليعيا هاديا ، بالاضافة الى الجانب التقني الوتيري .. فنصبت من « اللسان العربي » منبرا يلقي العرف من علاه الكلمة الرائدة والبحث المستجد ، زيادة على كونه معرضا دوارا لعمليات خلق المصطلح وتصحيحه وتنسيقه ، فى مختلف المعاجم .

وفى هذا وذاك لا تثقيف فقط بل استنفار للهمم اللغوية واثارة للطريق الاستطلاعي وحض على التبليغ .

وهذا كله من مشجعات التعريب ومتممات تنسيقه .

— ◆ —

وما كان لي انا شخصيا ان انوه بفضل المجلة وانا احد محرريها ، رافقتها بغير انقطاع منذ العدد الثاني . فقد عرفت المكتب عام 1964 ورايت العدد الاول من مجلته وغيره من منتجاته ، واطلعت على الجهود النشيطة المتبصرة التي تراس العمل فيه وتقوده وتدفعه ، بالرغم من ضعف المادة وقلة الايدي والاقلام ـ فاكبرت ذلك العمل الجهادي المخلص . واذا بي اجدني منخرطا فيه طبيعيا وعفويا وتطوعيا .. وكأنما جرى ذلك دون ارادتي أو علمي .

فهل تريدونني بعد هذا على ابداء رايي فى المكتب الدائم لتنسيق التعريب ؟ ...